مادة (هـ ل ك) في الاستعمال القرآني/دراسة دلالية

أ. م. د. ليث داود سلمان
جامعة البصرة / كلية الآداب

تسليم البحث : ٢٠١٨/٢/١١ قبول النشر:٢٠١٨/٤/١٨

تتبع الباحث مادة هلك في الاستعمال القرآني وما ينتجه السياق فيه من أبعاد معرفية في توجيه المعنى المتظمن للبنية.

وقد توزع البحث على محورين تحدث في الأول عن الدلالة التي تقدمه الأبنية الفعلية في حين خصص الثاني بدلالة الأبنية الاسمية، ومن أهم مخرجات البحث أنَّ تعدد مصادر الإهلاك يكشف بعداً تشكيكاً فِي المصداق، ولا ريب أنّ نسبته إلى الله عز وجل فِي ذروته من الكمال والتمام، وليس كذلك فِي نسبته إلى الملائكة وبعض مظاهر التَّكوين، لأنّ المرتبة الدَّانية فاقدة لكمال المرتبة العالية.

الْأَلْفَاظُ لَهَا حَياةٌ فَرْدِيَّةٌ مُتَشَعْشِعَةٌ، وَخِصَالٌ ذاتِيَّةٌ مُنَمَّقَة، وَمَزَايَا فَنِيَّة مُورِقَة، تَكْمُنُ فِي نَسَقِهَا الْبِنَائِي الرَّتِيب، وَتَنَاغمِهَا الْمُوسِيقِيِّ الْعَجِيب، وَشَأْنها الْحَكّائِي الرَّحِيب، وَلِكُلِّ جَانِب مِنْ هَذِهِ الْجَوَانِب أُفْقَهُ الْمُمَيَّز، وَبُعْدُه الْمُطَرَّزُ مِنْ مَنْظُور اِتِّجَاهِ التَّعَاطِي وَمَنْهَج التَّنَاوُل.

فَنَسَقُهَا الْبِنَائِيُ مُنْتِجٌ لِلْصِيغِ، وَمُثْمِرٌ لِلْصُورِ الَّتِي تُتَّخَذُ مِنْوَالًا وَهَيْكَلًا، لِتَلْبِسِ الْمَعَانِي، وَإِعْطَاء الْوَظَائِفِ الصرفِيَّةِ.

وَفِي تَنَاغمِهَا الصَّوْتِي، وَجَرسها الْمُوسِيقِيّ جَوَانِبَ إيحائية، وَخِصَال صِفاتِيَّةٍ، لَهَا دَوْرٌ فِي التَّصْوِيرِ وَالتَّأْثِير، بِمَا تُفْرِزَهُ أَصْوَاتُهَا – عَلَى قُرْبِهَا أَوْ بُعْدِهَا – مِنْ نَبْرٍ وَتَنْغِيمٍ، وَجَرَس مُتَفاوِتٍ بَيْنَ الشِّدَّةِ وَاللِّين.

فَتُمَارِسُ سُلْطَة تُوجبُ اِسْتِجَابَةَ الْقراءِ وَاِسْتِمالَةَ الْأُدباءِ، إنْ كَانَ لِنَظْمِهَا جَمِيل صَنْعٍ، وَبَرِيق وَضْعٍ، وَلِرَصْفِهَا وَصَفِيرِهَا رَخِيم سَطْع.

ويقدم المنظور الحكائي البعد المعرفي، والجانب العلمي فِي مجال التداول والاستعمال كاشفاً – بذلك – عما وراءه من واقع، سواء أكان فِي لوح الخارجي أم فِي نفس الأمر.

وهذا بدوره يُعمّق العلاقة بين الذَّات والوجود الخارجي بمظاهره المتعددة المترشحة والمتفرقة فِي بساط أرض التَّكوين، ويشكل أفقاً ثقافياً، ومنظومة إدراكية مُتكاملة عن الوجود والوجوب. فتجد المعاني والأعيان مسلكاًإلى صحيفة الأذهان، ومربعاً مطمئناً فِي محل البرهان، لإيلاج المعرفة من

أيســـر أبوابها، والنزوح بها إلى أربى غاياتها.

وتنال الألفاظ حياة ثرية زائدة على حياتها الفردية، عندما تأتلف بالمفردات، وترتصف إلـــى الكلمات، وتنطوي فِي نسق تركيبي، له حكايته الموضوعية، وشبكته المفهومية، تتتابع فيها المعاني تبعاً لانتظامها، وتشخص فيه القرائن تبعاً لاتساقها، فتشحذ ذهن المتلقي بالعلاقات الوطيدة لمفردات عالم التكوين، والعناصـــر البعيدة من حيّز التمكين،مشكلة معارفه الحصولية ومداركه الوجودية.

وبين هاتين الحياتين: ثمة من يجعلها رائقة جمالية، وخالدة أبدية، ودائمـــة ســـــرمدية، تـــدرأ حواجز المكان، وتصـــرف قواطع الزمان.

وآخر يقصـــرها على أرض الرَّقيقة ودارِ الخليقة بتخومها البشـــرية وحدودها المادية فِـــي رسم أطر مقيدة، وصور من الحياة المعيشة والمناخات الثقافية البليدة.

وشتان بين المحدد والممدود.

وإذا تجردنا أكثر،وأزلناالأستار، ستعرض لنا الألفاظ ببزّتها المونقة، وحلتها المتألقة، عندما تكون محالاً للإرادة المطلقة، وظرفاًلأستار الغيب المتمنعة.وأي حياة تنالها الألفاظ أسمق مـــن حيـــاة الربوبية، وجمال الإلوهية المتجلية فِي أوعيتها وآنيتها.

ومن هذا المنطلق لم تكن يد الباحث مديدة إلى أوعية غير الكبراء، ومحال غير العظماء، مما تكون المفاهيم فيها حاكية عن أخيلة بليدة وشواخص زهيدة، لا تكشف عن علوم مفيدة، ولا تنـــتج معارف حميدة، لها أثر ناجع فِي خلق رؤية كونية تثري معتقد الفرد فِي حركتـــه الدائمـــة، وعملـــه الدؤوب نحو مقاصده وغاياته، فعقدت همتي بصبر وثبات،وأقمت عزيمتي بعزّ دون سُبات؛ ليكـــون اشتغالي بتجليات الحق،وإنجازي بمظاهر المطلق؛ حتى يكون التعاطي فِي المعرفة أوفر عطاءً،وأغنى رواء. وفي تلمس الرؤية الشمولية للوجود، والنظرة الكونية للعالم أجل ّ قيمة، وانفع سنيّـــة.

وقد وقع اختياري،وأنا أختلف إلى مواد الْقُرْآن،وأتردد على موائد الرَّحْمَنِ، على مفردة، لها خطرها فِي المنظومة الربوبية، وشأنها الحكائي الوطيد بحياة الإِنْسَان ومصـــيره الَّذِي يؤول إليـــه. تلك هي مادة «هـــ ل ك».

وقد كان البَاعِثُ للاختيار، والدَّافعُ للإيثار مَا عَليهِ واقعُ الأمم التَّليدة ابتـــداءً مِـــنْ إشـــراق الخليقة حتى الأقوام العتيدة من صُور العفاء والفناء، وما أناخ بها مِن الشَّقاء وَنَزَلَ بها مِنْ الضَّراء، وفتك بها من اللأواء، الَّتِي عصفت بالأمم فِي طورها الأول وحياتها البدائية، بما نالته أيـــديها مـــن الظلم والجور والتعسف، على الرغم مما تحمله البواعث الإلهية والشَّوارق الرَّحمانيـــة مـــن نـــور وهداية.

وَمَا أنْ ظهرت أعلام الحضارة، ولاحت رايات العمارة، وبدأت عقول النـــاس تجـــنح نحـــو

مطالبها، وتغدو إلى منافعها، أخذت أمراس الحقيقة تتصرم،وأرسانها تتفصم، وشيئاً فشيئاً دبّ فيها التحرر من رابطة الدَّين وعصبة القيم، وشايعهم فِي ذلك أقلام المُتذرعين بالنَّهضةِ، والمُتوسلين بالصَّحوة فِي الازدِهار العِلمي والحراك التقني، فأفلت من الأذهان تلك الصور، وزالت من الاعتبار تلك الحكم بعد أن حُمِلت مظاهرها على الجريان الطَّبيعي للكون، وفُسرت حوادثها بالعلل المادية الَّتِي يمكن ذودها واقعاص مراسيلها، من أجل أن يكون الجمع – فِي نظرهم – بمنأى من الخطر، ومأمن من الحذر، على ما زاوله من شطط وانحطاط، ومارسه من صور الانحلال والاختباط.

إنّ فِي اختياري هذا استحضاراً لتلك الصّور المروّعة، والتجليات الإلهية على الأقوام العهيدة والأمم القديمة بالعذاب الشَّديد والعقاب السَّديد، لجعلها شواخص قائمة فِي طريق النَّازحين عن مهيع العلماء والأولياء، الموغلين فِي لجج التَّيه والعماء، الذين لا يزيدهم العمران إلا بعداً من الرَّحْمَنِ،وكفاً عن التقوى، وزيادة فِي العصيان؛ علّ الإخبار يذكرهم،والاستخطار يثبتهم،وأملا فِي استرجاع الأفق المعرفي الَّذِي كان يتمتع به الصَّالحون، ويتعطر به المخلصون فِي التعلق بالدين، والتشبث بالطريق المستقيم الَّذِي رسم معالمه الغيب، وجسده فِي العلم والعمل من كان فِي جنب الله غير معيب؛ لتكون هادية للامة، وعاصمة لها من الضلالة.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾الإسراء:٥٨

وَقَدْ جَعَلَ البَاحِثُ لموضُوعِه مَسْلَكَين، تَحَدَّثَ فِي الأوَّلِ عن البُنيَةِ الصرفِيَّةِ بِشَقَّيها الإسميَّة وَالفِعلِيَّة، عَارِضاً لِبَعضِ الجِهَاتِ الَّتِي تَتَصرفُ إليها كَالنَّوعِ وَالشَّخصِ وَالعَدَدِ كَشفاً لِخَصائِص الاستعمالِ وَسر الاكتِمَالِ.

وَأَقْبَلَ فِي الثَّاني على الدَّلالة الصرفية، وما ينتجه السِّياق مِن أبعادٍ معرفيةٍ فِي توجيه المعنى المُتضمن للبنية.

الأبنية الصرفية

الأبنية فِي العربية مُقَسَّمَةٌ عَلى قِسمَين، وموزعةٌ فِي حقلين: هما الأفعال والأسماءُ، ولكل منهما نصيبٌ زاخرٌ، وحظٌ وافرٌ، فهي مُتَعَددة تِبَعاً لِتَعَدد المَواد اللغوية، وَمُتنوعة استناداًإِلَى ما يمكن أن تخرج به صور الاستعمال الحيَّة والهيآت التَّداولية بحسب ما يقضيه المقام وطبيعة الاستعمال. ولا مزية لأحدهما على الآخر؛ لأنَّهما تابعان لاستدعاء المُتكلم وملابسات القول وشأن التَّخاطب. وَمَنْ أَراد أنْ يُنعمَ النَّظَرَ فِي مَتنِ النُّصوص، لاستظهر له ميزة الوفرة فِي جانب، والانحسار فِي جانب آخر.

وعندما جال الباحث بنظرهِ بترو وإمعان فِي مادة «هـ ل ك»، ظهر ابتداءً ربو الأبنيةِ الفعليةِ وفيضها على برض الأبنية الإسمية وثمدها، وزاده تأملاً تباين الهيآت الفعلية المُترشحة من الجذر

اللغوي نفسه بين علو بعضها واكتظاظه مُشكلاً نَسَقاً قُرْآنِيَّاً فَرِيداً، وغيض الآخر.

دلالـــــــة الأبنيـــــــــــة

- أولاً: الأبنيـــــةُ الفعليـــــة

الحديث عن الأبنية الفعلية القارة فِي وعاء موضوع علم الصـــرف ومسائله، لا يحيد عن الأبعاد الثلاثة الكامنة فِي مادتها وصـــيغتها، وما تفضي إليه.

فالفعل ،من حيث هو مادة، له دلالة على الحدث. ومن حيث انتظام حروفه فِي صورة نطقية، له بعد زمني، سواء أكان مُتصـــرماً أم متجدداً أم قيد الإنجاز. وفي ضمن هذين البعدين تلوح قائمة الـــذات المنتجة المزاولة للفعل الَّتِي ترتبط بالصـــيغة المفردة تلازماً معنوياً، وتعنّ فِي أفق العلاقات اللغوية المتراصة ظاهراً، عندما يراد للصـــيغة أنْ تأتلف مع العناصـــر والأدوات المنتجة للفهم لدى المتلقي فِي تتابع من المعاني تعيناً لمصداق الحدث الَّذِي يقتضيه الإنجاز الكلامي.

وهنا يلوح فجر جديد لدلالة المبنى؛لأنه انضوى فِي منظومة دلالية أكبر، تســتبك عناصـــرها، وترتصف مبانيها المتنوعة، مشكلة بذلك سياقاً يتحكم فِي معطيات الدلالة للمباني المؤتلفة.

ولا ريب أنّ المبنى يفقد شيئاً من خصوصـــياته، كما أنـــّه قد يكتسي بأبعاد دلالية أخرى فضـــلاً عن دلالته الوظيفية. وتجليات هذه الظاهرة بيّنة فِي اعتراك زمن الصـــيغة وزمـــن الســـياق الَّـــذِي تشكله العلاقات، كما فِي جر المبنى الفعلي الماضوي فِي سياق الوعد والوعيـــد،أو إِذَا تزامـــل مـــع أدوات تتعالق أطرافها.

وللسياق الخارجي دور فِي إنتاج المعرفة، كما للسياق الداخلي،وأثره فِي الصـــيغة، لا يقل خطراً وشأناً، فكثيراً ما تشي الصـــيغة الواحدة بألوان زاهرة من الدلالات استناداًإلى السياق.

أ – أبنيـــــــة الفعل الماضي

١. الأبنيـــــــــة المجردة

قال تعالى: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾النساء ١٧٦، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، الأنفال ٤٢، ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾، غافر٣٤، ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾، الحاقة٢٩.

من المسلّم به أنَّ الفعل، ببنيته، لا ينفك عن الزَّمن الَّذِي هو فرع الحركة، فهـــو يعطـــي الحـــدث مُقترناًبأحدالأَزمِنَةِ الثَّلاثة مع تفاوت فِي اقترابها وابتعادها. ولا يكتسب الحدث معناه، ولا يفي بمنتهاه إلا إِذَا تلبس الفاعل به، واحتاج إلى وعاء له أحياناً.

وبمعنى إن ترتيب المعاني فِي الذهن وتواليها وانتظامها، تابع لانتظام المفردات ورصـــفها فِـــي الخارج بلحاظ المتلقي، ويتبلور العكس إِذَا نـــُظر إلى المنشئ باســـتقلال، فـــأنّ انتظامهـــا اللفظـــي

ونسجها الخارجي فرع تتابعها وتواليها فِي الذهن.والمنشئ حر ٌ فِي إيرادالأحداث مقترنة بأزمانهاأم يجعلها على إطلاقها.

ولا يحسن أنْ يُؤتى بالأحداث المقيدة من دون أنْ يكون ثمة مزاول لها،وإلّا أصبح التقيد الزمني محالاً؛ لأنّ الحاجة إلى الحركة مما لا بد منه للذوات الممكنة.

الحدث فِي الآيات الْقُرْآنية، بصورته البنائية، مقترن بالزمن الصرفي الماضوي، ولكنه فِي النص يرزح تحت سلطة السياق، فالمبنى فِي الآية الأولى اقترن بأسلوب الشرط الَّذِي حسر الزمن الماضي، وجعل الحدث وزمنه متوقفاًومشروطاً بإنجاز المعادلة بين الطرفين، فحدث الهلاك المترشح من الفاعل الصناعي مقترن بالزمن الْقُرْآني المنفتح على أفق التلقي فِي كل آن، وكون المعطى واقعياً،قد ذاب فِي أدب المعاملات، جعل من الحدث أداة لترسيخ الحقيقة.

أما مبنى الحدث من حيث عدّه ظرفاً للمعنى، وانتظامه مع نسق العلاقات والعناصر اللغوية فِي الآية الْقُرْآنية، فقد كان ميداناً رحباً يتسع لقراءات المفسرين، والمتعاطين مع النص الْقُرْآني على وفق ما تزخر به مبانيهم، وتقوم به مناهجهم. وقد حمله أغلبهم على الموت[١]. وأعطى بعضهم هذا الحمل مزية سياقية، وسجية قرآنية، فقد ذكر الراغب انه «لم يذكر الله الموت بلفظ الهلاك حيث لم يقصد الذم إلا فِي هذا الموضع وذلك لفائدة» [٢]. وجعل صاحب المنار، مقام الاستعمال، التحقير[٣].

وقد قيل: فِي التعبير تعميم الموت وتعدد صوره[٤]، وذُكِر أيضاً فِي إيثار اللفظ على غيره: إنّ من لا ولد له فهو هالك[٥].

وفي الآية الثانية أُتخِذ من اسم الموصول وسيلة لتلبس الحدث بالفاعل تلبساً لا مفر منه، وورود فِي سياق حادثة تاريخية جعل زمنها متصرماً. ولكن لما كانت المقاصد الْقُرْآنية تتطلب المصاديق فِي كل مراحل التلقي، خرج الزمن من قفص الماضي إلى أفق الذات المخاطبة فِي كينونتها المتخذة من بساط الوجود وفلكه الدائر فِي الموجود منوالاً فِي التوارد والتتابع والنسقية الَّتِي تقتضي أفول الذات وانبعاث سلائلها، وتجلي المقتضيات الإلهية بصورها المتعددة فِي نادي الأبناء ولحوق الأحفاد على ما كان جارياً فِي الآباء والأجداد؛ لكي يأخذ الجميع حظوظهم من السعادة والشقاء.

أمّا البعد الدلالي الَّذِي يفيده المفسر من النَّص الْقُرْآني من عقد معنى اللفظ وجريانه على منوال الصيغة، فقد استظهر بصور:

- أنْ يحمل الفعل على دلالته الصريحة من الهلاك الفعلي الَّذِي يوجب تفصم الروابط بين الروح والبدن[٦].
- أنْ يعطي معنى مجازياً استناداً إلى قرائن السياق الموجبة لصرف المبنى عن معناه الحقيقي، وقد حمل على الكفر حيناً[٧]، وعلى الضلال فِي وجه آخر[٨].

- أنْ يحمل على مشارفة الحدث[٩] لمناسبة قرينة البيّنة والهلاك المفاد من المضارع فِي المستقبل.
- أنْ يحمل على واقعهِ من دون مشارفة، ولا مزاحمة دلالية بين الفعلين. لأنّه كائن فِي علم الله[١٠].
- أنْ يحمل على معنى ذهاب الشوكة وبلوغ الضرر[١١].

وَحَملُ الدَّلالَةِ عَلى المَجَازِ أكثر قبولاً وأوفر حظاً؛ لأنَّ قيام الحجة ووضوح البينة فِي معركة بدر، إنَّما كان بعد ترسبات الكفر والضَّلال، وإطباق الجهل والنِّفاق، فمن كانت سريرته مُوغلة فِي الظَّلام، كشيبة وعتبة وغيرهما، كانت ضلالته حدثاً متفشياً، وفعلاً منبعثاً، لا تزيده نصوع البيّنة، ولا وضوح الحجة إلا إصراراً وإقداماً، فآضوا إلى تيهٍ وهلاكٍ.

وفي الآية الثَّالثة اقترن الحدث بسياق حاكٍ عن قصة يوسف«عليه السلام»، وهي قصة زمنها قابع فِي أوعية الماضي، وإنْ ظهرت فِي أسلوب الشَّرط والتَّلازم. وقد حمل المفسرون والمشتغلون بالنَّص المقدس دلالة الحدث على الجريان الطبيعي[١٢].

وفي الآية الرَّابعة تتخذ الدَّلالة مَسلَكاً فريداً، ومشعباً عزيزاً بجعل الحدث الفعلي شاخصاً بمزاوله المعنوي، قائماً ببعده المجرد. وإطاره الزَّمني الَّذِي تحكيه الصيغة يصطدم بعناصر النَّص المُنتظمة، ومعانيها المُتراتبة، فيفيض الزَّمن السِّياقي، ويربض الزَّمن الوظيفي، ومن ثم تصير الدَّلالة الزمنية فِي منظومة الأحداث المستقبلية المجاوزة للحدود الدنيوية الأرضية.

وفي حكاية الزمن المستقبلي، وإعطاء الحدث للفاعل الاعتباري، كبير مزية؛ لأن يوم القيامة هو تجلٍ للحقائق، وظهور للسرائر. والأمور الاعتبارية الَّتِي ينالها الإنْسَان متقوّمة فِي حياته الدّنيا، كائنة فِي ظرفها المادي، لا ينال منها نصيباً سوى ما كان له منها قيمة مُتجسدة وملكة مترسخة من الحسن والجمال.

وقد كانت قراءة العُلماء للآية مُنتجة بدلالاتٍ زاخرة وإشارات قيمة، لا تخلو من الفائدة والمتعة فِي فسح خيال المتلقي وإيعابه بالقراءات المتعددة الَّتِي تكشف قدرة النص على الديمومة والعطاء.

فقد دل على الضلالة. أي: ضلّت عني حجتي[١٣].

وأفاد معنى الذهاب. أي: ذهاب ملكي[١٤].

وأُعطِي معنى البطلان. أي: بطلت حجتي[١٥].

وأدى بالتضمين معنى الغياب، وهو من الهلاك المجازي؛ لأنّ الانتفاع به يوم القيامة معدوم[١٦].

وهو يدل على افتقاد الشيء عنك، وتحققه عند غيرك[١٧].

وفي الجملة: استعمل المبنى الفعلي مع ما يعطيه من حدث، ويحمله من معنى مسنداً إلى الفاعل فِي

سياق شرعي فِي النَّصِّ الأول، وهو يشمل كل فاعل بحسب ما تصوره منظومة الْإِسْـلَام والـديانات الإلهية، والثاني استعمل فِي سياق تاريخي وهو يشمل المشركين فِي معركة بدر، والثالث فِي سياق تاريخي رداً على من زعم انقطاع النُّبوة بعد موت النَّبي، والرَّابع يتلبس الحدث فيه بالفاعـل غيـر الإرادي لتعمّ دلالة الهلاك الموجود المدرِك والمدَرك، وهو يعني حسم الروابط وتفصـم الأواصـر المزدوجة القارة فِي أرض الاعتبار.

إنَّ اقتران الحدث مع معنى الهلاك فِي الآية الثَّانية واضح، لأنَّ الاحتدام والاصطدام قد يفضي إلى الهلاك، وهذا غير جلي مع الأولى والثَّالثة، وإنْ كَان – فِي الأخير– يعطي دلالة المـوت، لكـن الموت بما فيه من معنى الانتقال يكون فرع الهلاك لا العكس.

وقد تكون الآيات جميعاً ناظرة إلى ما يلحق الجهاز البدني والقوى المادية، وما تتعلق بها فِي ظرف الاعتبار من خلل النظام وفساد الانسجام، سواء أكان بمرض، كما يوحي سبب نـزول الآيـة الأولى[١٨]، أم بغيره من الأعراض الخارجية، أم ما يمكن أن تنتجه عقول الناس وتوعبـه أفكـارهم المتوهجة. أو بتفشي الظلم والغشم من التدبير وسوء الانتظام كما فِي الآية الأخيرة.

وبمعنى إن الآيات بهذا الاستعمال تشير إلى الجنبة المادية من الإِنْسَان، وما يمتّ إليها، وتأييد ذلك:

إن الإِنْسَان كائنٌ ذو طاقتين، وموجودٌ يَنتَمي إلى حيثيتين: الأولى رداؤه المادي المسـانخ لبيئـة التزاحم والتصارع، والثانية نوره الأبلج السابح فِي أفق المجردات. وقد قدر للاثنين أنْ يوجدا معـاً على بساط الرقيقة وأرض الخليقة المحكومة بالتبدل والتجديد والآيلة إلى التحول والتغيير، وأن يأتلفا على مسانخة الطبائع المادية، والسنن الكونية، وأنْ يتربعا فِي منجنون التزاحم ودولاب التصادم الَّتِي تجعل الهلاك امراساً لسجيته الخلقية، وارساناً لجبلته البشرية، ولا ريب ان كل ما فِي بساط التزاحم غادٍ إلى الزوال وصائر إلى الفساد ومنتهٍ إلى الخراب، وليس كذلك حياته الزاهرة الَّتِـي لا تخبـو، وزهرته العبقة الَّتِي لا تعفو.. فهي إلى الهلاك أنأى مما أناخ بالبدن، وإلى الرجوع أذرع وأسـرع، وفي هذا توجيه لهلاك السلطان فِي الآية الأخيرة فما تعلق بالروح من صالح العمل وطالحه لا يزول ولا يتخلف، وليس كذلك كل ما يعلق بالبدن، لأنّـه يزول بغيابه، ولا يبقى بفنائـه. وفـي تحسـر القائل دليل عمايته، وحجة غوايته.

٢. الأبنيـــة المزيـــدة

لم يرد من هذه المادة فِي الْقُرْآن الكريم من صور بنائية سوى المزيد بحرف واحد، وهو ما كانت الهمزة زائدة فِي أوله على زنة «أفعل»، الَّتِي تعطي وظيفة التعدية، وجعل المنفعل بالحدث تحت سلطة إرادة قاهرة، ترزح فِي تذلل تحت وطأة الفاعل. أي إنّ ثمة من يزاول هذا الحدث بالإيقاع على الغير، بخلاف المبنى المجرد الَّذِي يستهلك الحدث فاعله.

قال تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾، البلد ٦، ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِــر أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، آل عمران١١٧، ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾، الأعراف١٥٥

في الآية الأولى أُنتج الحدث الفعلي من الفاعل – وهو الإِنْسَان الَّذِي تحدثت عنه الآية• – لا ليقترن به، بل ليجعل وعاءه المال الكثير، والإهلاك هذا منيخ بالأعيان الخارجية المحسوسة غير المدركة، ولا يراد به إلاّ التضييع والتبذير والإزالة المستند إلى سوء التدبير.

ولهذه الآية فرادة فِي المبنى المتصل بالذات الإِنْسَانية المنتجة للحدث عندما جعلت صاحبها فِي منأى عن الحسن بإفراطه وتضييعه، وفي بلادة من فؤاد ووراهة من عقلٍ؛ فكان الإهلاك أليق بالتعبير لما فيه من مضرّة الفعل ومعرّة القصد.

وأعطي حدث الفعل فِي الآية الثانية للحوادث الطبيعية، والمجاري الكونية المستندة إلى عللها العالية، وأسبابها الغالبة، ليكون عانياً لسيف التقدير منفعلاً بما يمت إلى الإِنْسَان بصلة النفع ورابطة الخير، وهو فِي المقام الحرث.

وعصف ظواهر الطبيعة بعضها ببعض لهو دليل النظام، ونسق الانسجام القاصــي عن التفاوت، والبريء من الفوضى والمصادفة، فلا جزاف فِي ارتباط الحوادث ما دام فِي البين عارض يلوح، وباعث يفوح.

وفي هذا التمثيل الخلاب والتقريب الجذاب الدليل العيني الكاشف عن جريان الأسباب وتقوّمها تحت سلطة القدير العزيز.

ولا يخفى أن فِي إيصال الإهلاك إلى ما يحيط بالإِنْسَان من أشياء – يجلّ نفعها ويعظــم نقعهــا – رسالة اعتبار إليه، وقائد تذكير وتوجيه تنبئ عن الإهلاك المحدق والإشجابالمغدق.

والحدث الفعلي فِي سياق دعاء النَّبي موسى«عليه السلام»، وحادثته مع قومه جاء ليكشف أن سنة الإهلاك ماضية، وقدرة الله عز وجل – فِي كل شيء – جارية، لا يُزحزَحُ عنها حتى الإِنْسَان الكليل الضعيف.

وفي تقديم النَّبي«2»– بذيل اعترافه – مظاهر القُدرة على طلب الصفح، فائدة فِي العفو وذريعة للقبول، وإيداع الحدث الفعلي فِي سياق شرطي فيه مظنــّة التَّسامح والتَّجاوز. أي إن المشيئة الإلهية لو كانت قاضية بالإهلاك لحقت وقرت.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ الأنعام ٦

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِــيرًا﴾ الإســراء ١٧

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾	مريم ٧٤
كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾	طه ١٢٨
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾	القصص٥٨
﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾	السجدة ٢٦
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾	يس ٣١
﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾	ص ٣
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾	ق ٣٦
﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾	الأعراف ٤
﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾	الحج ٤٥

الآيات الْقُرْآنية جميعها تشترك فِي سمة واحدة، وتجري على مزية فاردة، وهي إيراد الفعل الماضي المزيد بهمزة التعدية فِي أسلوب الخبر المقترن بأداتي الإخبار «كم وكأين»؛ ليكشف بنسقه وانتظامه كمال القدرة الإلهية النافذة وعزيمته الماضية، سواء أكانت مدركة القرون العهيدة أم متتبّعة للقرى التليدة، من جهة ما يخص الفعل الإلهي وفاعليته، والتدبير الربوبي وغايته.

ويجلي ما طمت إليه الأمم والقرون السالفة، وما ربت عليه ريحهم، واشتدت به شوكتهم فِي الصَّلافة والنَّطافة والفساد والعناد وبطر النِّعمة ومظاهر الشحط والفساد.

إن استحضار الصورة بجوها الفعلي المنجز فِي أزمان منصرمة سحيقة، ونسجها فِي سلك من العناصر والعلاقات الحاكية عن تجارب إنسانية، وثقافات أممية ومناخات ذات أُطر ونشاطات حائدة عن المترع الصحيح والمسلك المستقيم؛ لهو بلاغ فِي الاعتبار ببعدها التاريخي، وأداة فنية فِي الاختيار ببعدها التأثيري الَّذِي يوجب سلطته على القارئ، وذريعة ناقعة فِي الحوار ببعدها الحجاجي وجوها الإقناعي.

وأيّ أسلوب خبري أسمق فِي الانتهاء، وأسمى فِي الاهتداء من تصوير القدرة الآلهية الَّتِي لا تنثني باستظهار تجلياتها من خلال الاستحضار الفعلي للهلاك، وجعله أداة للهيمنة الربانية، الَّتِي تضحى معه القدرة المنفعلة متهورة آفلة، والإرادة الحركية ساقطة زائلة. ولا يخفى أنّ هذا الإبلاغ ينتمي إلى مقولة الحقيقة الَّتِي لا ينأى عنها الأريب، ولا ينهى عنها اللبيب.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾	يونس ١٣
﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾	الأنبياء ٩
﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾	الأنبياء ٦
﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾	الأنعام٦
﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾	الكهف ٥٩
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	الشّعراء١٣٩
﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾	الدُّخان ٣٧
﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾	محمد ١٣
﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾	الحجر ٤
وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾	طه ١٣٤

ما زال النَّسق المهيمن هو الحدث الفعلي الَّذِي يترشح من الفاعل القدير، وينفعل بالواهي الوهين، الَّذِي اتخذ من الأزمات السحيقة صيرورة لتحققه، ومن الأقوام والفئات العنيدة محلاً لتدفقه.

وقد ظهر النسق الفعلي فِي الشق الأول من الآيات مرافقاً للعلّة ومتسقاً مع السبب، ومقترناً به آن الحدث وأوانه الداعي إلى الإنجاز من قيام القدرة، ولزوم العذاب، واستئصال القرون الماضية، وإزالة ريحها وشوكتها. فهي وإن تعددت صورها، وتباينت تجلياتها، تبقى سنة إلهية للإهلاك والعطب. وقد أوجب الظلم إهلاك القرى والقرون الأولى كما هو منطق بعض الآيات.

إنّ الإسراف فِي آية سورة الأنبياء مظنة الإهلاك ومدرك الإنهاك. ومن كذّب الرسول، ولم يؤمن، بعد إقامة الحجج الباهرة، ونهوض الأدلة السافرة بصراحة البينة، شجبته العقوبة، وأناطت به الملومة. وكذا من تلبس بالجرم، وجاء بالشنيع الفظيع من القول والفعل. ومآل هذه المفاهيم الموجبة للسخوط والسقوط – فِي الآيات المتقدمة – واحد يتمثل بالنزوح عن الفطرة، والنزول عن المبّرة.

وإلى جانب هذه الآيات ظهر الحدث الفعلي المنجز مؤسساً لقوانين كونية، ومشيداً لسنن وجودية على النحو الآتي:

- إنّ القرية أو القرون الَّتِي ترزح تحت وطأة الإهلاك كُتِب عليهم الإقصاء والنأي، وحكم عليهم بالإبعاد والتجاوز وعدم الرجوع.
- إنّ سنة الإهلاك مُشرّعة بقوانين ومؤطّرة بضوابط، فلا تذيقهم ولا تشبعهم من العذاب ما لم

يكن ثمة كتاب، قد أُعدّ لها، تدوّن فيه نواياها، وتثبت عليه سجاياها، ويحفظ به سلوكها الجمعي بما هي أمّة، وهذا يعني أن للإنسان كتابين، أحدهما تستقل به ذاته، والآخر ينطوي فيه مع أمّته.

- إنّ هذا الحدث الفعلي لا يحلّ أهلاً، ولا يصيب قوماً قد أخلّت الإرادة الإلهية – وحاشاها – بأدلّتها، وضنّت بهدايتها.
- ولبعثة السفراء، وهداية الرشداء أثره البالغ فِي قطع المعاذير، وحسم المحاذير، وأيّ خسفٍ أوضح منه، وعسف أقبح منه، إذَا كان الإهلاك يقع جزافاً.
- إنّ الفعل الإلهي «الإهلاك» لا ينال قوماً إلا ونُهنه عنهم المعين، وازورّ عنهم المغيث، ونكص منهم الوامق، وفي ذلك لا ترجى شفاعة المقترب، ولا زلفى المجتذب.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الملك ٢٨

الفاعل للحدث والمنتج له الله عز وجل، والمنفعل به النبي الأمين «2»، وهذا من عزيز الإيقاع، وجميل الامتناع، لتخلف الإرادة، وتبدد العزيمة بعد قرارها، وسوء الإخبار ينبئ عن قبح الاختيار، لتحول النَّبي«2» من كونه وعاء توعبه الرحمة إلى حطام تخلّفه النقمة.

ولكن لهذا الاستعمال مزية مونقة فِي مخاطبة المخاصم، وحمله على الاقتناع، تتمثل فِي عقد عناصر الآية وانضوائها فِي أسلوب شرطي، يناغم وجدان المخاطبين فِي الآية، ويصور لهم الاجواء المخيفة برفع العصمة، وإزالة المنعة عنهم، وإطواء سدال النعمة، وإنزال شآبيب الظلمة.

وتحقق جملة الجواب كائن لا محالة، وإنْ تعلق بجملة الشرط المرددة، ولا توقف أحدهما على الآخر توقف العلة على المعلول؛ لإنّ الشرط، سواء تنجّز أم لا، لا يثني من عزم الإرادة الإلهية القاضية بتعذيب الكافرين.

ومجيء الفعل بهذه الصورة المقترن بالترديد افتراض من شأنه أن يوجب زرع الثقة، وترسيخ المعتقد فِي نفوس المعاندين؛ إذ إنّ تردد الموقف إزاء النبي بين الإهلاك والإحياء؛ لا ينقص من جرمهم، ولا يذبّ عن عذابهم. إنها ترهات وأقذاع.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ الحاقة ٥

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صرصر عَاتِيَةٍ﴾ الحاقة ٦

في آيتي سورة الحاقة استعمل المبنى الفعلي للدلالة على الحدث، وقد أُسند المنفعل «واو الجماعة» الحاكي عن قوم عاد وثمود إلى الفعل مباشرة، ورُفع فِي صناعة التركيب الفاعل الواقعي؛ ليكون بناء الفعل للمجهول.

ودلالته على تصـــريف القدرة الإلهية، واستظهارها فِي صور الإهلاك وطواعيتها وامتثالها الأمر الإلهي أبلغ فِي انفعالهم بالحدث، واقترانهم بالهلاك.

وفي تغييب الذات المنتجة للحدث إشارة إلى تعدد مظاهر التعذيب وتنوعها، وما تلوح من صـــور ما هي إلاّ تجليات ومحال للفعل الإلهي، وقد تمثل فِي المقام بنزول الطامة الساحقة وريـــح العـــذاب العاصفة الَّتِي لا تبقي ولا تذر.

وأيّ إشارة أبلغ فِي التعبير من استحضار الذاكرة الماضية، وتصوير هول العـــذاب لأقـــوام قـــد سلفوا، وفئام قد صلفوا، فغابت معالمهم وزالت ملامحهم، فاضحوا هباءً منثـــوراً. وخيـــال المخاطـــب يدوّن فِي سطوره، وينقش بحروف الخائف الوجل، والراهب الفـــَرِق استئصال القوم وذهاب شوكتهم فِي كل عمل اقترفوه، وفعل اجترحوه.

وكلما كان معنى الحدث منتجاً فِي عهود سحيقة، قابعاً فِي أرض الحقيقـــة، انتهـــى إلـــى غايـــة المطلوب فِي الإخبار، ونهاية المقصود فِي الاعتبار؛ لتكون رسائل التعبير أنجع وأدوات التعبير أنقع، ولا تبقى حجة للمكذب المعاند بعد أنْ حمل طيف خياله مصـــير الأمم الَّتِي كانت اشد منعـــة وأقـــوى ريح.

ب – أبنية الفعل المضارع

يختلف الفعل المضارع عن قسيمه الماضي من حيث المبنى والدلالة والزمن، فلا صورته مرتسمة على نسج الفعل الماضي، ولا دلالته متوقفة الحدوث، ولا زمنه مطمئن فِي العهود المتصـــرمة.

إنـــّه مبنى ترافقه مجموعة من اللواصق الَّتِي تجعله مائزاً من غيره، وله دلالة تتجـــدد بتجـــدد الفعل، وزمنه يستطيل على ما قد سلف، ويقع على ما هو كائن، ويستشرف المستقبل.

وقد تلبس حدث الإهلاك به؛ ليعطي لنا تصوراً قرآنياً إزاء حركة المفهوم فِـــي زحـــام المفـــاهيم الْقُرْآنية الأخرى، واكتظاظها؛ ليصل إلى الغاية والمنتهى.

وهو فِي وقوعه على النحو الآتي:

١. الأبنية المجردة

قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ الانفال٤٢

لم يستعمل المبنى المجرد ماضيه إلاّ فِي هذه الآية، ليدل على أنّ حركة الفعل متجـــددة بتجـــدد مصاديقها، متحركة مع مجاريها، وبمعنى إنّ للهلاك سيرورة وحركة لكل مـــن عنـــّت لـــه بينـــة، وظهرت له حجة، لا تنقطع بقوم، ولا تقر على موقف. وقد تقدم إنّ دلالتها، بعقدها مـــع عناصـــر النص، تحتمل الكفر والضلال والموت. وارتباط الحدث بالفاعل مباشرة لا يحتاج إلى تدخل واســـطة، ولا تسليط قدرة قاهرة، وكأن الحدث ينهش بصاحبه، ويفتك بفاعله.

٢. الأبنية المزيدة

لم يستعمل من المضارع إلا صورة واحدة، يكون فيها ماضيه مزيداً بهمزة التعدية.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ البقرة ٢٠٥

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ الجاثية ٢٤

صورة المبنى تشي بالحركة، وتتلون بالتجديد، وقد أُسند الحدث فِي الآية الأولى إلى الإِنْسَان، وجعل موضوعه الحرث والنسل مما على الأرض من مظاهر الخصب والنماء والحياة الزاخرة بالعطاء؛ ليكشف أن الحدث المتجدد يتناغم مع تولي المنافق الَّذِي يبدي المنطق الرخيم، ويكمي الحقد العريم. فإنْ شارك الناس فِي المعاملة أظهر جميل الصنع، وإنْ استقل بالتولية، دبّ فساده وتفاقم عناده، وربا تبابه، فيضحى الخير منه مصروفاً وممنوناً، والشر فِي إنائه مقطون، لا يؤمن منه الخير فِي شيء.

ومن جميل العبارة ما ذكره الطاهر فِي هذه الآية بقوله: «إنّ هلاك الحرث والنسل كناية عن اختلال ما به قوام أحوال الناس» (١٩).

ومن سماجة التفكير وبلادة التدبير جعل الإهلاك فِي الآية الثانية حدثاً متجدداً ومستمراً من قدرة مزعومة، وأخيلة معقومة، لا يقول بها إلا مألوس، ولا يقربها مأنوس.

وأيّ حماقة أجل من جعل المقادير والأسباب مستوسقة بيد الدهر، يصرفها كيفما يشاء من دون تخلف واختلاف. لذا إن حدث الآية لم يقرّه الله، ولم يؤكده – فِي نسبته –، بل هو تحقيق لزعمهم، وتثبيت لقذعهم على خلاف الآية الَّتِي قبلها، فأنه أجرى الكلام على حقيقة الفعل الإِنْسَاني فِي إنزال وابل ظلمه، وعظيم غشمه بالأرض وما عليها.

قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الأنعام ٢٦

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ التوبة ٤٢

الحدث الفعلي فِي الآيتين أُعطي للإنسان كما فِي الآية الَّتِي سلفت، لكنها تفترق عنها بموضوع الحدث ومحال إيقاعه، فان كان النسق الفعلي يقتضي المغايرة بين طرف الفاعل وطرف المنفعل، ويكشف علو الفاعل بالتسليط ودنو المنفعل بالتذليل، سواء أكان من جهة المحمدة أم من جهة التوبيخ والتحقير، فلا ريب أنّ الآيتين تمثلان انزياحاً نسقياً، وانحرافاً معنوياً؛ إذ جعلت الفاعل المريد

والمنفعل المأمول بالقصد واحداً، تتحرك الإرادة، ويشتد العزم وتسلط القدرة على الـذات المزاولـة للفعل نفسها.

ولكن لغفلتها، وفرط ضلالتها أخلت ببصـيرتها، فاندفعت بحدث متجدد مستمر – فِي مجادلة النبي ومخاصمته، وتأليب الناس عليه، وزحزحتهم عنه فِي محاولة منهم لوهي عزيمته، وثنـي إرادتـه، وإقصائه – إلى مصـيرها المحتوم ومطلبها المشؤوم.

يقول السبزواري فِي دلالة هلاك الأنفس: «إنّ المجادلة مع الحق والتمادي فِي الغيّ، والإصـرار على التكذيب، يوجب الدخول فِي أفظع العذاب، ويؤدي بصاحبه إلى انزال دركات العقاب، وهو عذاب الضلال والإضلال، ولا نظير لمثل هذا الهلاك الَّذِي يفقد الإِنْسَان نفسه»(٢٠).

إنّ قرن الحدث فِي أسلوب القصـر يفيد التوكيد والمبالغة بالضرر الَّذِي يزامـل ذاتهـم ويـلازم أفعالهم، وفيه إشارة إلى أنّ ثمة علاقة ذاتية بين الفعل وصاحبه، وما يلحق الإِنْسَان من منفعـة أو معرّة يستند إلى ما صنعت ذاته من ملكات، وأسسته من سجيات، سواء كان فِي الدنيا أم فِي الآخرة.

يقول الطاهر: «المراد بالهلاك هنا ما يلقونه فِي الدنيا من القتل والمذلة عند نصـر الْإِسْلَام، وفي الآخرة من العذاب» (٢١).

ونفي الشعور بعد الحدث دليل على أنّ الغفلة والجهل قائدهم المدبر، وسائقهم المفكر، لا يعبأ بنير الفطرة وسورة البشرى.

ومن أفضع المصـير أنّ يكون الإِنْسَان مُهلـِكاً ومُهلـَكاً فِي آن واحد.

ولم يختلف الحدث فِي الآية الثانية عن نظيرتها المتقدمة من حيث الدلالـة علـى تجـدد الفعـل ومجيؤه فِي ضمن أسلوب خبري، فالفاعل له شرذمة من المنافقين، والمنفعل به ذاتهم العليلة الَّتِـي اتخذت صنوفاً من الحيل والألاعيب للإبطاء والتخلف عن الرسول«2»، وهم بحلفهم الكاذب يـدفعون أنفسهم فِي شرك الردى وينزلونها محل الهاوية. يقول الطاهر: «في هذه الآية دلالة على أنْ تعهـد اليمين الفاجرة يفضي إلى الهلاك»(٢٢).

وحركة الفعل المتجددة المنتهية إلى زوالهم، والآيضة إلى تبابهم، ينبئ عن كثرة مزاولتهم فنون الختر والخـِباب، وجنوحهم إلى صنوف المكر فِي المعاملة والخطاب.. إنـّهم يبررون ويسـوفون، ويقدمون معاذير ذريعة، ويعقدون إيمانا وثيقة، تقعدهم عن امتثال الرسول واتباع أوامر الحق.

ولا جرم أنّ الكذب يستند إلى قوة إرادة، وعزّة عزيمة فِي التحلي بالصفات الذميمـة، والخصـال الدنـّية فتجعله قناعة أكيدة فِي نفوسهم للتحرر من اقتداء الحق، واهتداء الصدق، وفي ذلك شـجب للذات ونخر للنفس.

قال تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَـا مَـنْ تَشَـاءُ الأعراف١٥٥

وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الأعراف١٧٣

لسان الآيتين ولحنها متشابه إلى حد ما؛ إذ اقترن الفعل الدال على الحدث بأسلوب الاستفهام، المراد به الإنكار، للإشارة إلى أنّ قدرة الإهلاك لا تصيب عبثاً، ولا تخطيء أبداً، فلا يؤخذ النطس بفعل السفيه، ولا الحاذق بفعل المائق، ولا يلحق الأبناء بما اجترحه الآباء من الشرك والإبطال، إذَا لم تورق نفوسهم على الاتباع والتقليد.

ففي الآية الأولى أُجري الحديث على لسان النبي موسى«عليه السلام»، وقد عُقِد الحدث مع الاستفهام الَّذِي يراد بها إنكار العارف بالله وعدله، أي إنّ النبي«2»ينكر الخلل فِي المنظومة الإلهية والتفاوت فِي العدل الربوبي، فلا مجال لخلط الغُرر بالعُرر، ولا إمكان لأخذ المصلح بفعل المسيء.

وقد حير ّ مجيء الهمزة مع الحدث أولي الألباب، فاختلفت مشاربهم وتباينت مسالكهم فِي توجيه الاستفهام على النحو الآتي:

- إنّها للإنكار المراد به النفي(٢٣).
- إنّها للاستعطاف(٢٤).
- إنّها للنفي(٢٥).
- إنّها على ظاهر الاستفهام بتقدير: اتعمّنا بالعذاب أم تخص به السفهاء(٢٦).
- إنّها مستعملة للتفجع(٢٧).
- إنّها للرجاء زيادة فِي طلب الاستبعاد(٢٨).
- إنّها للإنكار الحقيقي، والباعث له شدة الهول وغرابته وتأثره بالصعق الَّذِي نزل به(٢٩).

وبالجملة إنّ النفي لا يراد به الإنكار الحقيقي المجافي لأدب العبودية، والمسيء إلى مقام الإلوهية، ولا أحسب أنّ أحد أنبياء أولي العزم ينكر على الله فعله، أو يشك فِي عدالته، ولا هو ممن يجزع ويتضجر إنْ أُخذ الصالح بذنب الطالح فِي سنة التكوين، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأنفال ٢٥

والحدث المقترن بالاستفهام فِي سياق الآية الثانية – يجعلنا نطلّ على مشاهد يوم القيامة، ونقف على ما يتمنع به المخلّون من أقاويل، ويتوسل به المذنبون من معاذير، لدرء العذاب وصرف العقاب، فجعلوا بينهم وبين المبطلين صريمة، ليكون نزول الهلاك بهم مستنكراً، وانصبابهم فِي الويل مستبعداً.

وكون الفعل مضارعاً يقتضي تجدد حدث الإهلاك واستمراره، فيكون ثمة زيادة فِي الروع، وشدة فِي الهول، وعظمة فِي الحساب.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۞ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ المرسلات ١٦، ١٧

في الآية الكريمة استعمل مبنى المضارع فِي سياق التقرير، وتحقق الفعل من اقتران الاستفهام والنفي. والتقرير يرافقه التهديد الشديد[٣٠]، لكي يكون الاعتبار ناجزاً والوعظ فِي المخاطبين كائناً؛ لان القدرة الإلهية فِي إهلاك الأولين مؤكدة بكسبهم وسوء جنايتهم، وسنة الله فِي الآخرين جارية؛ لاستواء المسلك، وتماثل المنهج.

إنّ المبنى أفاد بصيغته تجدد الحدث وديمومته فِي حكاية حال الأمم الخالية، وفي ذلك تنشيط لذهن المتلقي، وتعزيز لخلته، وتأكيد لغفلته.

يقول الطاهر: «الاستفهام للتقرير استدلالاً على إمكان البعث بطريقة قياس التمثيل... وإهلاك الأولين له حالتان: حالة غير اعتيادية تنشأ عن غضب الله تعالى، وهو هلاك الاستئصال مثل إهلاك عاد وثمود، وحالة اعتيادية، وهي ما سن الله عليه نظام هذا العالم من حياة وموت. وكلتا الحالتين يصح أنْ تكون مراداً هنا، فأما الحالة غير الاعتيادية فهي تذكير بالنظر الدال على أنّ الله لا يرضى عن الذين كذبوا البعث. وأما الحالة الاعتيادية فدليل على أنّ الَّذِي أحيا الناس يميتهم فلا يتعذر أنْ يعيد إحياءهم» [٣١].

وقد فهم الطباطبائي، من الحدث وسياقه، الحجة على توحيد الربوبية، إذ إنّ إهلاك المجرمين هو تصرف فِي العالم الإنْسَاني وتدبيره[٣٢]، ولما كان المهلك هو الله – وقد اعترف به المشركون – دلّ على أنّ ثمة نسقاً يسود الوجود، وينظم مجاري الأمور، ومن كان حاله فِي الهلاك، فلا جرم أنّه أخلّ بمظاهر التدبير وخرج عن تبليغ النذير.

وقد كان الإهلاك دليل التدبير وأمارة البعث والتحذير، ولا مشاحة بين الاثنين؛ لأنّ البعث فِي يوم القيامة هو فرع تدبير الربوبية. ومقدار ما يقع عليه المكلف – فِي النظام – من التآلف والتخالف يفضي إلى نتيجة قطعية، وهي الإعداد للجزاء على من كانت مناهجه موافقة للتدبير، ومن كانت جهته منحرفة عن وضوح القصد والسبيل.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ الإسراء ١٦

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ ابراهيم١٣

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ هود ١١٧

﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ الأعراف ١٢٩

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ المائدة ١٧

في الآيات المتقدمة استعمل مبنى المضارع بعوارضه التصريفية المختلفة للدلالة على الحدث المترشح من الفاعل والمزامل لأحد الأزمنة الثلاثة.

فقد صاحب الحدث أداة الشرط المعلقة لفعل الإرادة – فِي الآية الأولى – للدلالة على أنّ الإهلاك غير خارج عن التدبير ولا متجاوز نظام التسبيب، وكون الفعل واقعاً فِي حيطة الإرادة المعلقة يجعل زمنه منطبقاً على الحال ومشتملاً على المستقبل؛ ليجعل منه حقيقة منظمة بقانون.

وفي الآية الثانية جاء الحدث الفعلي مؤكداً بمؤكدين القسم المضمر والنون الثقيلة؛ للدلالة على تمكن الحدث بموضوعه وتوثيقه على نحو الجزم والقطع؛ تسلية منه للرسل فيما لاقوه من عتوِ أقوامهم وطغيانهم.

والزمن المفهوم من أسلوب القسم هو المستقبل، وإنْ كان حكاية عن حال ماضية، أي إنّ ثمة يوماً تُفصل فيه الأعمال، وتميزّ الأفعال، ويلحق الظلمة سوء العاقبة والعذاب الشديد.

ويمكن أنْ يفهم من الآية المستقبل القريب؛ لأن الله ينصر رسله، ويهلك أعداءهم بعد حين من الخطاب ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ البقرة٢١٤.

واستعمال ضمير الجمع فِي الآيتين للتعظيم، وإظهار القدرة يتناسب ومقام العقوبة، وانزل الويل بالظالمين.

وفي الآية الثالثة إشارة إلى أنْ الحدث لا ينال قوماً استقاموا على الطريقة، صلحت ذاتهم، واستكملت سريرتهم، ولم تكن فطرتهم فِي تيهٍ وعماء. ووقوع الفعل بعد كون منفي دلالة على توكيد نفي الوقوع، وتوطيد العدل الربوبي القاضي بمحاسبة المتكبرين، ومجازاة المخبتين.

وفي الآية الرابعة اقترن الحدث بفعل الرجاء – وهو من كلام النبي موسى«عليه السلام»– لبعث الأمل وتجديد الطمع فِي نفوس قومه، من جعلهم خلفاء الأرض مغبّة إهلاك عدوهم. وزمن الحدث يتجدد فِي المستقبل، وإنْ كان فِي حكاية الأحداث الماضية، ليعطي دلالة الثبات على العزيمة والمنعة فِي العقيدة، وهذا لا يكون إلاّ بعد تحمل الدهماء والصبر على اللأواء.

وسياق الحدث ينبئ عن سنة إلهية جديدة، تتضمن الظفر بعد الضرر، واليسر بعد العسر، والرجاء بعد البلاء؛ إذ إنّ ولاية الله وسلطانه لا تنال بالسكون والدعة والركون إلى المنفعة.

وفي الآية الأخيرة جاء موضوع الحدث الفعلي الإِنْسَان الأشرف النبي عيسى«عليه السلام» وأمّه، وسواهما مما فِي الأرض.

وكون الحدث متعلقاً لفعل الإرادة الواقع فِي حيز أسلوب الشرط – الَّذِي جعل الموضوع مشروطاً ومعلقاً فِي حجاج الذين زعموا أنّ المسيح إلهٌ؛ كفراً منهم وإصراراً – لا يعني أنّه منجزٌ أو كائن، بقدر ما يعني أنّ الهلاك والإهلاك لا يسانخ الموجود الحق، ولا يصاحب الواحد القهار؛ واذاً لانتفت قيموميته، ولزالتقهّاريته. وفي هذا الأسلوب إكبات للخصم وإدحاض للزعم.

ويبلغ التعبير ذروته فِي المجال عندما يقرن الحدث – فِي السياق – بالملك الحقيقي لمظاهر التكوين، واي نظم أبلغ من جعل مساحة الإهلاك وميدانها المملوكات العينية لله عز وجل؛ لينتهي إلى المعنى الهادف الَّذِي عجزت عقول القوم عن إدراكه وتحيرت ألبابهم عن نيله وإمساكه، وهو انّ تصرف القدرة الإلهية فِي الأشياء على كل وجه لا يكون إلاّ بعد التثبت من كون تلك الأشياء راجعة إلى ملكه، واقعة فِي حوزته على النحو الحقيقي، لا الاعتباري القائم على المعاهدة والتبادل والاختيار، ووجهه أنْ تقوم الأشياء فِي وجودها ودوامها وبقائها به وحده، لا تخرج عن سلطانه؛ لأنّه الموجد لها من العدم، والمخرج لها من الظلم، ومبدعها فِي أحسن قوام.

ويسمق التعبير أكثر، وينال التركيب غايته ومنتهاه عندما تتراصف العناصر اللغوية، وتتوالى معاني الفكرة فِي أسلوبها الشرطي المعلق على القدرة الإلهية، لكي تصرف قاله الفعل الجزافي، ويدحض ميدان العمل الاعتباطي الَّذِي ينمُّ عن جهل، ويكشف عن خطل فِي الملك الاعتباري. فكيف والله أحسن المالكين.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ الأنعام ٤٧

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الاحقاف٣٥

استعمل المبنى المضارع – فِي الآيتين – فِي ضمن الاستثناء الَّذِي يأتلف معه الاستفهام المتضمن معنى النفي؛ للدلالة على تأكيد العلقة، ونزول الهلكة، وقصور العذاب على القوم.

وقد أُشعر الوصف فِي ذيل الآيتين بالعلة الموجبة للسقوط والانحطاط. ومجيء الفعل للمجهول يزيد من تأكيد سورة الغضب وشدة العذاب، فليس ثمة جهة تزاول الفعل وتنتج حدثه، يكون الانتساب

إليها جلياً. بل أُخفي، ليشير إلى أنّ الظلم والجور يوجبان العذاب فِي النظام الطبيعي وسنن التكوين. وهنا يكون الإنْسَان مصـــيدة لسجاياه ومَهـــلَكة لسلوكه وخطاياه.

ثانياً: الأبنية الاسمية•

أ – اسم الفاعل

استعمل اسم الفاعل من الفعلين «فعل وأفعل» ولم يأتِ على الصور الفعلية الأخرى الَّتِي تزخـــر بها العربية، ومن المعلوم أنّ بناءه من الأول يكون على زنة فاعل، ومجيئه بإبدال ياء المضـــارعة ميماً مضمومة وكســـر ما قبل الآخر من كل فعل زيد على مبناه حرف أو أكثر. وهو يدل على الحدث والحدوث وفاعله(٣٣).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَـــهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ القصص٨٨

ورد اسم الفاعل – من الثلاثي المجرد – فِي سياق عقدي كاشف عن التوحيد الواحدي، فقد نهت الآية – بلحنها – من يقصد الله، ويقرن معه آخر، ثم أكـّدت ذلـــك بعـــد أنْ نفـــت جـــنس الإلـــه، وحصـــرته بالإله الواحد الحق عز وجل، معللة ذلك بحقيقة كونية شاملة تمتّ إلى الطبيعة الإنْسَانية بثقة، ألا وهي ارتداء الأشياء لباس الهلاك، وتزاحمها على سني فنائه، فكل عالم الناسوت له شأنية الزوال بحكم ماديته، وهو، فِي تحوله وتجدده وانتقاله، يقتضي اليباب.

ومن تأمل ملياً، وتفكر جلياً، أدرك أن حدث الهلاك الَّذِي يقوم بصاحبه ذاتي لـــه بلحـــاظ جنبتـــه التكوينية المادية، لا يتخلف عنه أيّ موجود فقير، ولا يستثنى منه أيّ ممكن كبير إلا ما شاء الله.

وفي الاستعمال إشعار أنّ الوجود الحقيّ لا تعدد فيه، ولا شركة معه؛ لأنّ كل ما تصورته أخيلـــة القوم وصنعته أحلامهم من الآلهة لا تعدو البوار، ولا تتجاوز الافتقار، فقد ثـــُلـــّت بالحدث ذاتهـــا، وتخورت فِي الزوال فتاتها.

وقد أفاد الطاهر من هلال كل شيء انتفاء الآلهة المصطنعة الَّتِي عـــُبدت من دون الله؛ لذا عللت بالنهي(٣٤).

وجعل آخرون الهلاك بطلان الشيء من العالم وعدمه رأساً(٣٥).

وهلاك الأشياء فيها العموم والخصوص بلحاظ نشأة التكوين؛ فلا يمكن أنْ ينال ما جعله الله خالداً، وألبسه رداء البقاء، وللعلامة الطباطبائي وجه حصـــيف فِي ذلك؛ إذ يقول: «إنَّ المُراد بالهلاك هـــو تبدل نشأة الوجود والرجوع إلى الله المعبر عنه بالانتقال من الدنيا إلى الآخرة والتلبس بالعود بعـــد البدء، وهذا إنما يكون فيما هو موجود بوجود بدئي دنيوي، وأما الدار الآخرة وما هو موجود بوجود آخروي كالجنة والنار فلا يتصف شيء من هذا القبيل بالهلاك بهذا المعنى» (٣٦). ولذا يكون استعماله

مع كل عالم الإمكان للتغليب، وله مزية فِي الخطاب والإقناع؛ لأنّ كل ما يُضفـــى عليـــه القداســـة ويُعظّم، وكل ما يُجعـــل له عزاً وشرفاً، غرق فِي بحر العماء وتلاشى فِي لـــُجَج الخفاء، فكيف بمن سواه؟!.

وفوق ذلك كله أنّ كل ما يناله الهلاك محكوم له عز وجل، راجع إليه، تديره يد القدرة، وتـــدبّره إرادة الربوبية، وفي ذلك تنوير للأذهان وتصحيح للعيان•.

قال تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ يوسف ٨٥

استعمل اسم الفاعل فِي المقام للجمع، وقد سوغ الوصف الكائن للمذكر العاقل ذلك؛ للدلالة علـــى أنّ الوصف حالّ بالذوات على وفق التقدير الإلهي، وأنـــّه مـــن منطـــق الخطـــاب ســـيحلّ بـــالنبي يعقوب«عليه السلام»ذريعاً، وينالـه وشيكاً إثر حزنه على فراق ولده يوسف«عليه السلام»، وفيـــه إشـــارة إلـــى أنّ الشجى والأسى مما يوجب خور النفس وعطب البدن.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ الأنعام١٣١.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ القصص ٥٩

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الأعراف١٦٤

استعمل اسم الفاعل فِي الآيات المتقدمة مفرداً وجمعاً، وهو مشتق من مصـــدر الفعـــل، المزيـــد ماضيه بالهمزة. للدلالة على تلبس الوصف بالذات على نحو المزاولة والإيقاع بالموضوع.

وفي وقوع المبنى بعد كون ٍ منفي دلالة سننيّة تؤكد أنّ الذات الموصوفة بالإهلاك لا تأخذ القرى، الَّتِي لم تـــُمدّ ٓ إليهم يد الهداية، ولم تصل إليهم بصائر العلم والدراية.

ولم تختلف الآية الثانية عن ذلك، فَبُعْدُها السنني جليٌّ، يكاد يكون موضحاً لما سبق، فبعثة الرسل وإيصال نور الهداية إلى القرى مقدمة علمية لرفع الحرج، وقضب العـــذر، وبســـط فـــرُش الدلالـــة والرشاد، حتى يكون فِي صدور الظلم، منهم، باعث كوني وقائد سنني؛ لظهور الذات عليهم بوصفها المتقدم. يقول الطباطبائي: «في الآية بيان السنة الإلهية فِي عذاب القرى بالاستئصال وهو ان عذاب الاستصال لا يقع منه تعالى إلا بعد إتمام الحجة عليهم بإرسال رسول يتلو عليهم آيات الله، والا بعد كون المعذبين ظالمين بالكفر بآيات الله وتكذيب رسوله»(٣٧).

وفي مجيء الصـــيغة بعد كون منفي دلالة على أنّ الإهلاك موقوف ومشروط، وقد جعله الطاهر يفيد «رسوخ العادة واطرادها» (٣٨).

ولاختلاف الصيغتين بين الإفراد والجمع، وتواردها فِي الخطاب والغيبة – فِي ضوء عناصر السياق – فائدة تتمثل بمقام الرسول «2» ومنزلته الجسيمة، ومكانته العظيمة، فقد أضاف ربوبيته إليه فِي نسق سنني للإهلاك؛ ليدل على أن العناية الإلهية والتربية الربانية لا تبارحه؛ تسلية منه، وتثبيتاً لفؤاده، لما عليه أمّته من العناد واللجاج.

وفي الآية الأخيرة أُسند الإهلاك إلى الله لا إلى الرب – كما فِي الآيات الَّتِي قبلها – لأنها قالة بشرية فِي مورد لحوقه بقوم موسى، ليدل مرادهم على قطع المعاذير وحسم الحجج فِي قوم، أُفرغت مقادير الأمور من إنزال العقاب بهم، بأمارة إضافة اسم الفاعل إلى الضمير.

ولكن كون الخطاب حواراً متبادلاً وقولاً مكتنفاً، اختلفت مآخيره عن مبادئه، فيكون إخبارهم عن الله موقوفاً فِي صحته على الوحي والإخبار الغيبي، وقد سبق أنّ من سنن الإهلاك كتاب الأجل والأعمال، الَّذِي تُرقن فيه أعمالها، وترقّش عليه آجالها وآمادها، وإذا ما بلغ هذه الأمم حينها وانتهى إليها مصيرها، وعنّ لها زمان التكوين، لحقها الإهلاك وبلغها الإفناء.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ العنكبوت ٣١.

استعمل اسم الفاعل فِي الآية جمعاً، وهو مشتق من مصدر المضارع المزيد ماضيه بالهمزة، وهو يدل على تلبس الوصف بالذات، وفي المقام يراد من الذات الملائكة، فهي الظاهرة عيناً بهذا الوصف، والمتجلية به على قوم إبراهيم. وثمة دلالة لهذا الوصف عند ظهور ذات الملائكة به، تتضمن الطولية لا الاستقلال، فِي التدبير والتدمير، عن إرادة الله وتدبيره، فهي محال لنزول التجليات الوصفية، ومراءٍ لظهور الذات الإلهية، قد تجلى بها الوصف الإلهي نقمة بالأمم الغاشمة والأقوام الخاسفة.

وفي ذيل الآية قد أُشعر الوصف بالعلة من التخطيط والغاية من التعذيب.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ الإسراء٥٨

استعمل المبنى جمعاً للوصف العاقل، للدلالة على تلبس الحدث بالذات، وإيقاعه على القرية قبل يوم القيامة، وغياب العلة الموجبة للإهلاك لا يعني جزافية الفعل وعبثيّته؛ لان ذيل الآية الكريمة أشار إلى وجود كتاب يرفع إليه سلوك الأمم ونشاطهم الجمعي، يُثبّت فيه حوادث التقدير ومصائر التكوين، حتى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وقد أثار الوصف فِي الآية جدلاً وسجالاً بين المفسرين لرفع العلة، وغياب التحديد الزمني، فمنهم من حمل تجلي الذات بالوصف مع كل قرية[٣٩]، ومنهم من جعله للقرى والأمم الظالمة أو

الكافرة الَّتِي عاثت فِي الأرض الفساد[٤٠]. وحمل آخرون الوصف على الجريان «الموت» للقرى الصالحة، والعذاب الشديد للقرى الطالحة[٤١].

ولكن منطق الآيات الْقُرْآنية جميعها الَّتِي تتضمن ظهور المادة بصور شتى، تجري على سمت واحد لا تخالفه، وهو إنّ العذاب الإلهي وسنة الاستئصال، لا تنال إلا من خرج عن محتد الفطرة، وانخرط فِي سلك الفجرة، وشارك الظلمة بصمته وسكونه، وجانبهم بانعزاله

ب – اسم المفعول

استعمل اسم المفعول من المادة المتقدمة من غير الثلاثي بإبدال ياء المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر، وهو يدل على الحدث والحدوث ومن وقع عليه[٤٢].ولم يرد إلا فِي آية واحدة:

قال تعالى ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ المؤمنون٤٨

في سياق إرسال موسى وهارون، عليهما السلام،إلى فرعون وملئه. يدل الوصف على أنّ وابل العذاب قد أوعب أواني الذوات وظروفها لفرط تكذيبهم، ومنتهى إصرارهم، ودوام إخلالهموعنادهم وقد كان نصيب فرعون وملئه رابياً لا يبذّهاليها شخص فريد، ولا ينازعه فيها غافل عربيد.

جـ– صيغة مفعل:

آثرت ذكر الصيغة على عنوان المبنى؛لأنه – فيما سبق – زاخر بالمعاني الوظيفية المستفادة من السياق، فضلاً عن ذلك اختلاف العلماء من لغويين ومفسرين فِي تحديد عنوان المبنى للآيتين.

قال تعالى:في قصة إرسال النبي صالح «عليه السلام» إلى ثمود﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ۞ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ۞ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾النمل٤٧ – ٤٩

يدل المبنى على الحدث المقترن بالمكان بقرينة الفعل شهد الَّذِي يعني الحضور،وبيّت الَّذِي يدل على الموضع، وفي إنزال الحدث بالمكان دون الذات دليل على عظيم الحيلة وجليل المكيدة الَّتِي صنعها الرهط الفاسدون فِي أبعاد التهمة وزحزحة الشبهة،ومن ثم فكل من كان بريئاً لا يدان، وسليماً لا يضن،فهو ممن لا يمت ّ إلى المكان بصلة، ولا إلى البلوغ بسبيل، ولكن تنجّز الحدث، وتحقق الفعل، لا يقصي الأفراد عن محل الجريمة؛ لكي يكون الغياب عنه ذريعة، والاستتار دونه وسيلة. وكونه فِي حيز الزمان لا يقتضي ان يكون اسماً له؛ لان السياق وانتظام العناصر النصية توجب ان يقترن الحدث بالزمان لا محالة، وهذا لا ينفي ان يدل المبنى على المكان.

ونفي الحضور أبلغ فِي التعبير؛ لكمي المؤامرة ودرء النسبة من الحضور فِي مشهد الهلكة، وذيل الآية ينبئ عن مطابقته لاعتقادهم وسوء اختيارهم.

وائتلاف حدث المكان مع نفي الشهود، له دلالة، يمكن أنْنفيدها، تتمثل بضعف الاتجاه المناهض للسفارة الإلهية، وانه لا يمثل مسلكاً ذا نظام مطّرد فِي مجابهته للرسل. وفشل الإرادة فِي النفي أقرب إلى الذم؛لأنّه يكشف روع الذات وقلقها من الإقدام على مزاولة الفعل مباشرة من دون الركون إلى الحيلة.

ولا ينصرف إلى الذهن أنّ حدث المكان ينبئ عن مصير النبي المحتوم ومآله المخروم بالقتل؛ لأن الخطاب من قالة الجبناء،وإرادة الضعفاء، والجو يكشف عن القلق النفسي والخور العاطفي والرهبة فِي نفوس القوم، بخلاف التعبير الإلهي الَّذِي يجعل انبعاث الأنبياء مقروناً بالنصر ومحفوفاً بالظفر.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ الكهف٥٩

المبنى فِي الآية يحتمل اسم الزمان والمصدر كما اشرنا سابقاً، والباعث للاحتمال السياق، وتوارد الصيغة نفسها بمادتين «هـ ل ك» و «و ع د». وفي مراعاة الصيغة والقياس يوجب أنْ يكون المبنى للأول؛ لان القول بالثاني فيه مخالفة للقياس ومجانبة للمعنى، فالله أخبر عن إهلاكهم لا هلاكهم، والمصدر فِي المقام يعرض للمجرد لا المزيد، ولذلك نفسر من نطق بضم الميم من القُرّاء؛ ليتم التطابق فِي المعنى المصدري والجريان على فعله.

والمعنى إنّ الله أخبر عن حدث الإهلاك النازل بأهل القرى، ثم جمع معها بحرف الربط مطلباً آخر، وهو أنْ جعل ثمة زماناً يتوسل به الحدث فِي عهد الله وميثاقه، لا يؤخر، ولا يبعد؛ لأنّه مستند إلى كتاب وأجل.

د – المصدر:

قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة ١٩٥

المصدر حدث مجرد من التقييد الزماني والإغلاق المكاني والتلبس الذاتي، وهو فِي الآية يدل على حدث الهلاك المجرد، وزيادة التاء فِي أولهتنبئ عن زيادة فِي مبالغة الحدث ووقعه، وكأنها هاوية السقوط، وزنزانة القبوع،وأمارة البعد والهمود.

وفي تخلل النهي بعد أمرين موجبين على صعيد الشرع والأخلاق، يوجب الاحتراس من غيلة التهلكة الَّتِي تنتهي بصاحبها إلى البوار والضلال. وكون المبنى منتمياًإلى سياقه المحدد، لا يوجب أنّ يكون الإخلال بالحظر مظنة للتهلكة فقط، بل تعمّ مواردها وتتعدد مصاديقها،وإذا كانت فِي الآيةتهديداً لمصداقين ميسورين، فكيف بالمصاديق الَّتِي تتثاقل عنها النفس وتنزوي عنها الروح ويكلّ منها البدن؟!

واخيراً أقول:

- إنّ النَّسق الفعلي المتكرر يحمل الصور المتوالية والحوادث الكونية المتتالية الَّتِي أناخت بكلكل القوم، مشكلة أداة فاعلة فِي الوعد والوعيد والتحذير والتهديد فِي عصر سادة العناد، واستحوذ عليه الفساد. وقد كانت هذه الصور تثري وتجدي فِي زعزعة وجدانهم وزحزحة أفكارهم.
- إنّ استعمال ضمير الغائب فِي الشخص من جهة المنفعل، وحضور الذات القاهرة من جهة الفاعل يكشف عن الهوان والصَّغار، فهم لفرط إصرارهم وشدّة عنادهم، ونأيهم عن الحق، لم يخاطبهم الله مباشرة.
- إنّ استعمال الجمع فِي العدد من جهة المفعول بالحدث أكثر من غيره، يكشف عن هول الأمر وعظمه، وفيه دلالة على ان سلوك الأكابر لا يعصم الجماعة من العقاب، ولا يذبّ عنهم العذاب، وإنْ كان فيهم الكبير الهرم، والشاب اليَهَم، والطفل الَّذِي لم ينفطم.
- لا ظهور للنوع «المؤنث» فِي موارد استعمال المادة صراحة إلا ما قد يفهم من بعض السياقات الَّتِي تكون فيه المرأة معينة للرجال على المعصية، ومؤيدة لهم على المعاندة. وغياب الظهور هذا يكشف عن سجية المرأة العاطفية ووظيفتها الأنثوية الَّتِي لا يراد لها ان تخوض لجج الخصومة ومعترك الحجاج.
- إنّإسناد الفعل المجرد إلى الذات، وان اتفق فِي بعض الموارد مع مفهوم الموت،إلاّ أنّه يختلف عنه بخصوصية الاستعمال، ومزية الانتظام، فضلاً عن المعنى الإيحائي الَّذِي يحمله، واللوازم المعنوية المترشحة منه. وهذا غير متحقق مع الفعل المزيد. لأنّ فيه مظنة العذاب والعقاب الشديد، وإنْ التقيا فِي المآل نفسه.
- إنّ الموت أمر وجودي قد خلقه الله جنباًإلى جنب مع الحياة.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ الملك٢

وجعله سبيلاً ومعبراًإلى الكمال، ولا يشاكله فِي هذه الجنبة مفهوم الهلاك؛ لأنه إنما يلحق الذات بعد نزوحها عن محل الفطرة وأرض الاستقامة ومعتدل الطريق، وجنوحها إلى الظلم والإضلال والمحل والإفساد، فهو إلى النقمة والقهر أقرب. والموت نافذة الوصول إلى الحق.

- إنّ تسليط الذات على الذات نفسها مما أبدعهاالْقُرْآن فِي جميل النظم وعظيم الصنع، عندما أخبر – على نحو الحقيقة – عن المكر السيء الَّذِي لا يحيق إلا بأهله فِي استعمال الفعل المضارع الَّذِي تظهر به الذات المزاولة للحدث قاهرة نفسها، ساحقة كيانها.
- إنّ للقوانين الكونية والسنن الآلهية موانع دارعة، وحواجز دافعة عن اقتحام المحظرة وإيراد

الهلكة.

وقد أخذت هذه القوانين مع المادة صوراً شتى من خلال الاقتران مع جملة من المفاهيم كالظلم والكذب والجور والفسق والذنب وغيرها، مشكّلة بذلك ثنائيات وجودية، يوجب القانون فيها أنْ تتتبع المادة كل تلك الأوصاف، وتنال من كل تلك النُّعوت، فهي أداة طيعة لاستئصال تلك القيم الممقوتة،وإقصاء الرَّذائل المكفوتة.

- إنّ ظهور الذات الآلهية بوصف من أوصافها، وهو الإهلاك، فِي بعض الموارد، لا يجعل من الوصف اسماً الهياً كظهوره بوصف الإماتة، لغلبة الجانب الفعلي فيه بالإقناع والمبالغة بالإفزاع والإرواع، فيكون النظر إليه من زاوية الفعل لا زاوية الوسم والعلامة، نعم هو شعار ودثار لموضوعه، وعنوان فِي التداول لمن توسّم بالفعل القبيح والوصم الشنيع.
- إنّإنتاج الحدث ومزاولته من الفاعل، باعثه بشري، ومقتضاه دنيوي، وهو ما عليه تلك الطبيعة الإنْسَانية القابعة فِي سجن المادة ودار التزاحم والتجاذب، فكلما غدت إلى نهمها بعجل وتجسدت من شيمها بخلل،نالها خبل ومسها عطب، من غزير العناء ووابل الشقاء.
- إنّ تعدد مصادر الإهلاك يكشف بعداً تشكيكاً فِي المصداق، ولا ريب أنّ نسبته إلى الله عز وجل فِي ذروته من الكمال والتمام، وليس كذلك فِي نسبته إلىالملائكة وبعض مظاهر التّكوين، لأنّ المرتبة الدَّانية فاقدة لكمال المرتبة العالية وهلم جرا.

فهما وإنْ اتفقا فِي النسبة يبقى الاختلاف فِي الشدة والضعف.

- إنّ مظهرية الإنْسَان من هذا الوصف – إنْ تحققت – لا تكون جزافاً، ولا تحصل اعتباطاً؛ فيكون الفعل الإنْسَاني فِي جرياته فعلاً إلهياً كما فِي قوله تعالى:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾الأنفال١٧. وهي موقوفة على الأذنوالإرادة. قال تعالى:﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾آل عمران٤٩. ومن دونها يخرج الإنْسَان، بظهوره، من ظل الله ورحمته إلى شديد نقمته.
- للتصرف فِي مفردات الكون ملاك،قوامه علاقة الفاعل بالمنفعل، فأنْ تعلق الفعل بمقدور غير مملوك، خرج صاحبه عن المأمول والمعقول، وإنْ تَصرفَ فِيما يَملِك بِجعلٍ واعتبار، تقيد بضوابط الحكماء ولوازم العُقلاء.

ولَكن لَيْسَ لِلعَقلِإقالةٌ، ولا للعُقلاء دخالة فِي تَصرفِ المَالك الُمتمكن بملكه الحقيقي، الَّذِي لا يناله ببذل أو ثمن، ولا يفارقه بضعف أو وهن، فهو قائم به، وباق بإبقائه، دائمٌبِإمضائهِ،إنْ شَاءَ فَعَل، وإنْ شَاءَ تَرَك. وَهَذا لَا يَكونُإلَّا لله عز وجل.

فإذا كانت الحالُ هذه، فكيف بمن يتسلط بقهره على ما لا يملكه؟

المصادر والمراجع

١. الأساس في التَّفسير، سعيد حَوّى، دار السَّلام، ط٣، ١٩٩١م.
٢. أضواء البيان في إيضاح الْقُرْآن بالْقُرْآن، محمد الأمين الشنقيطي الأفريقي «١٣٩٣هـ»، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣. إعراب الْقُرْآن، أبو جعفر احمد بن محمد النحاس «٣٨٨ هـ»، تحـ د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط٢، ٢٠٠٨م.
٤. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢،

٢٠٠٥م.
٥. إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع الْقُرْآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري «٦١٦هـ»، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٣، ١٣٧٩هـ.
٦. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري «٧٦١ هـ»، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٥، ١٩٦٦م.
٧. البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي «٧٥٤ هـ»، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
٨. البحر المديد في تفسير الْقُرْآن المجيد، الإمام العلامة أبو العباس احمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني «١٢٢٤ هـ»، تحـ عمر احمد الراوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي «٨١٧هـ»، تحـ الأستاذ محمد علي النجار، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الْإِسْلَامية، لجنة إحياء التراث الْإِسْلَامي – القاهرة، ط٥، ٢٠٠٨م.
١٠. تأويلات أهل السنة، الإمام أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي «٣٣٣ هـ»، تحـ د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
١١. التبيان في تفسير الْقُرْآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي «٤٦٠هـ»، تحـ احمد حبيب قصير العاملي، تصحيح وتدقيق مركز الإمام الحسن المجتبى للتحقيق والدراسات، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
١٢. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ – بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
١٣. التحقيق في كلمات الْقُرْآن الكريم، حسن المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، ط١، ١٣٨٥هـ.
١٤. تفسير ابن عرفة لابي عبد الله محمد بن عرفة الودعمي، تحقيق جلال الاسيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
١٥. تفسير ابن كثير، الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي«٧٧٤هـ»، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه شعيب الارنؤوط ومحمد أنس مصطفى الخن، دار الرسالة العالية، ط١، ٢٠١٠م.
١٦. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مرايا الْقُرْآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي «٩٥١هـ»، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٤، ١٩٩٤م.
١٧. التفسير البلاغي للاستفهام في الْقُرْآن الحكيم، د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى، مكتبة وهبة – القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م.
١٨. تفسير البلخي، أبو القاسم الكعبي البلخي «٣١٩هـ»، دراسة وتحقيق د. خضر محمد نبها، تقديم د. رمضان السيد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
١٩. تفسير البيضاوي «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي «٦٩١هـ» إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٠. تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير الْقُرْآن، الإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي «٨٧٥هـ»، حقق أصوله وعلق عليه وخرج أحاديثه الشيخ علي محمد معوّض، والشيخ عادل احمد عبد الموجود وشارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنّة، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
٢١. تفسير السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني المروزي «٤٨٩ هـ»، اعتنى به وخرج أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
٢٢. تفسير الطبري، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتعليق محمود شاكر، تصحيح علي عاشور، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢٣. تفسير غرائب الْقُرْآن ورغائب الفرقان، العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري

«٧٢٨هـ»، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٢٤. التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار الأنوار – بيروت، ط٤.
٢٥. التفسير الكبير، الإمام الفخر الرازي«٦٠٦هـ»، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٦. تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي «١١٢٥هـ»، تحـ حسين دركاهي، دار الغدير – قم، ط١، ٢٠٠٣م.
٢٧. تفسير المراغي، الأستاذ الكبير أحمد مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٨. التفسير المظهري، الشيخ القاضي محمد ثناء الله العثماني الحنفي المظهري «١٢٢٥هـ»، وضع حواشيه وخرج آياته وأحاديثه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ٢٠٠٧م.
٢٩. تفسير المنار، الشيخ محمد رشيد رضا «وهي مجموعة الدروس الَّتِي أخذها عن أستاذه الشيخ محمد عبده» تعليق وتصحيح سمير مصطفى رباب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
٣٠. الجامع لأحكام الْقُرْآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي «٦٧١هـ» تحـ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
٣١. حاشية ابن التمجيد على تفسير الإمام البيضاوي، مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي «٨٨٠ هـ» ضبطه وصححه وخرج آياته عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٣٢. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، القاضي شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر الخفاجي «١٠٦٩ هـ»، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
٣٣. حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي «١١٩٥هـ»، ضبطه وصححه وخرج آياته عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٣٤. الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي «٧٥٦ هـ» تحـ د. احمد محمد الخراط، دار القلم – دمشق، ط٢، ٢٠٠٣م.
٣٥. روح البيان، الإمام العالم الشيخ إسماعيل حقي البروسوي «١١٣٧ هـ»، تعليق وتصيح وضبط النص الشيخ احمد عزّو عناية، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٣٦. روح المعاني فِي تفسير الْقُرْآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي«١٢٧٠هـ» تحـ ماهر حبوش وجملة من المحققين، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
٣٧. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضون التوضيح في النحو، الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري «٩٠٥ هـ»، تحـ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.
٣٨. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، الشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي «٧٥٦ هـ»، حققه وعلق عليه د. محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٣هـ.
٣٩. في ظلال الْقُرْآن، سيد قطب، دار الشروق – القاهرة، ط٣٤، ٢٠٠٤م.
٤٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري«٥٣٨ هـ»، شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمادي، الناشر مكتبة مصر بالفجالة.
٤١. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي «٨٨٠هـ»، تحقيق وتعليق الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض، شارك في تحقيقه برسالته الجامعية د. محمد سعد رمضان حسن و د. محمد المتولي الدسوقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٤٢. مادة «ع ل م» في الْقُرْآن الكريم، د. ليث داود سلمان، مجلة آداب ذي قار، العدد الثاني، كانون الأول ٢٠١٠ م.
٤٣. مجمع البيان لعلوم الْقُرْآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي «٥٤٨هـ»، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
٤٤. معاني الْقُرْآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجاج «٣١١هـ» شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، خرج أحاديثه علي جمال الدين محمد، دار الحديث – القاهرة، ٢٠٠٤م.
٤٥. المعجم المفهرس لألفاظ الْقُرْآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مكتب نويد إسلام – قم، ط١، ١٤٢٥ق.

٤٦. مفردات ألفاظ الْقُرْآن، العلامة الراغب الأصفهاني «٤٢٥هـ»، تحـ صفوان عدنان داوودي، دار القلم – دمشق، ط٣، ١٤٢٤هـ.
٤٧. من هدي الْقُرْآن، محمد تقي المدرسي، دار القارئ، ط٢، ٢٠٠٨م.
٤٨. من وحي الْقُرْآن، محمد حسين فضل الله، دار الملاك – بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م.
٤٩. مواهب الرحمن في تفسير الْقُرْآن، عبد الأعلى الموسوي السبزواري، انتشارات دار التفسير – قم، ط٢، ٢٠٠٧م.
٥٠. الميزان في تفسير الْقُرْآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي – بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
٥١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي «٨٨٥هـ»، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.
٥٢. وجوه الْقُرْآن، أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد النيسابوري «٤٣١هـ»، حققه وعلق عليه د. نجف عرشي، مجمع البحوث الْإِسْلَامية – مشهد، ط١، ١٤٢٢هـ.
٥٣. الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها، الشيخ الإمام أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني «٤٧٨هـ»، دراسة وتحقيق فاطمة يوسف الخيمي، تقديم سعدي أبو حبيب، مكتبة الفارابي – دمشق، ط١، ١٩٩٨م.

الهوامش

١. يُنْظَرُ: تفسير الطبري ٥٤/٦، وتفسير البلخي ١٨٠، وتأويلات أهل السنة ٤٣٣/٣، ووجوه الْقُرْآن ٤٣١، والتبيان ٣٨٧/٣، ومجمع البيان ٢٩٧/٦، وغرائب الْقُرْآن ٥٣٦/٢، وعمدة الحفاظ ٢٩٥/٤، وتفسير ابن كثير ٤٥٠/٢، وبصائر ذوي التمييز ٣٣٨/٥، وكنز الدقائق ٦١١/٣، والبحر المديد ١٣٨/٢، وحاشية القونوي٣٧٥/٧، وتفسير المراغي ٣٩/٦، والميزان ١٥٧/٦، والأمثل ٣٧١/٣.
٢. يُنْظَرُ: مفردات ألفاظ الْقُرْآن ٨٤٤.
٣. يُنْظَرُ: تفسير المنار ٩٢/٦.
٤. يُنْظَرُ: التحقيق فِي كلمات الْقُرْآن ٢٩٧/١١.
٥. يُنْظَرُ: مواهب الرَّحْمَنِ فِي تفسير الْقُرْآن ٢٦٦/١٠.
٦. يُنْظَرُ: مجمع البيان ٥١٤/٤، وتفسير البيضاوي ٦١/٣، وتفسير أبي السعود ٢٤/٤، وكنز الدقائق ٣٥٣/٥، والتفسير المظهري ٢٠٢/٣، وروح المعاني ١٣٠/١٠، وفي ظلال الْقُرْآن ١٥٢٥/٣، والتحرير والتنوير ١١٤/٩.
٧. يُنْظَرُ: تأويلات أهل السنة ٢٢٦/٥، والكشاف ٢٦١/٢، والدر المصون ٦١٥/٥، وتفسير الثعالبي ١٤٠/٣، واللباب ٣٠/٩، وتفسير أبي السعود ٢٤/٤، وحاشية القونوي ٩٢/٩، وروح المعاني ١٣٠/١٠، وفي ظلال الْقُرْآن ١٥٢٥/٣، والتفسير الكاشف ٤٨٧/١٠، والأساس فِي التفسير ٢١٧٣/٤، ومن وحي الْقُرْآن ٣٥٨/١٠.
٨. يُنْظَرُ: معاني الْقُرْآن وإعرابه ٣٣٨/٢، والتبيان ٤٣/٥، والميزان، ٩٤/٩، ومن وحي الْقُرْآن ٣٥٨/١٠، والأمثل ٢٠٦/٥.
٩. يُنْظَرُ: تفسير البيضاوي ٦٢/٣، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٤٨١/٤، وروح البيان ٤٤٦/٣، وروح المعاني ١٣٠/١٠.
١٠. يُنْظَرُ: روح المعاني ١٣٠/١٠.
١١. يُنْظَرُ: التحرير والتنوير ١١٤/٩ – ١١٥.
١٢. يُنْظَرُ: التبيان ٦١/٩، والكشاف ٨٦/٤، ومجمع البيان ٤٨٤/٨، وتفسير البيضاوي ٥٧/٥، وعمدة الحفاظ ٢٩٥/٤، وبصائر ذوي التَّمييز ٣٣٨/٥، وتفسير أبي السعود ٢٧٦/٧، وحاشية الشّهاب ٢٦١/٨، وكنز الدَّقائق ٣٨٠/١١، وروح البيان ٢٤٥/٨، وحاشية القونوي ٥٧/١٧، والبحر المديد ٣٠٧/٦، وتفسير المنار ٩٢/٦،

والتحقيق فِي كلمات الْقُرْآن ٢٩٧/١١، والتفسير الكاشف ٤٥١/٦.

١٣. يُنْظَرُ: وجوه الْقُرْآن ٥٧٣، والوجوه والنظائر ٨٠٦، ومجمع البيان ١٢٠/١٠، والتفسير الكبير ٦٣٠/١٠، وروح البيان ١٦٧/١٠، وروح المعاني ٣٩٦/٢٧.

١٤. يُنْظَرُ: التبيان ٨٨/١٠، والتفسير الكبير ٦٣٠/١٠.

١٥. يُنْظَرُ: روح المعاني ٣٩٦/٢٧، والميزان ٤١٧/٢٩.

١٦. يُنْظَرُ: التحرير والتنوير ١٢٦/٢٩.

١٧. يُنْظَرُ: مفردات ألفاظ الْقُرْآن ٨٤٤، وعمدة الحفاظ ٢٩٥/٤، وبصائر ذوي التمييز ٣٣٨/٥.

١٨. يُنْظَرُ: تأويلات أهل السنة ٤٣٢/٣ – ٤٣٣، والتبيان ٣٨٦/٣ – ٣٨٧؛ ومجمع البيان ٢٩٦/٦، والجامع لأحكام الْقُرْآن ٢٤٠/٧، والبحر المحيط ١٤٩/٤، وتفسير ابن كثير ٤٤٨/٢ – ٤٤٩، واللباب ١٥٣/٧، وكنز الدقائق ٦١١/٣، والبحر المديد ١٣٨/٢، وتفسير المراغي ٣٨/٦، ومن وحي الْقُرْآن ٥٦٢/٧ – ٥٦٣، والأمثل ٣٦٩/٣، والميزان ١٥٦/٦.

- ذكر بعض المفسرين أنّ ثمة سبباً لنزول الآية، وهو لا يشمل كل إنسان. يُنْظَرُ: التبيان ٢٩٠/١٠ – ٢٩١، وتفسير السمعاني ٥٢٣/٤، ومجمع البيان ٤٠٩/١٠، والجامع لأحكام الْقُرْآن ٢٩٥/٢٢، وتفسير غرائب الْقُرْآن ٥٠٢/٦، وتفسير الثعالبي ٥٩٠/٥ – ٥٩١، وروح المعاني ٤٨/٢٩ – ٤٩، والميزان ٣٣٤/٢٠، والأمثل ١٦١/٢٠.

وحمل آخرون اللفظ على عمومه. يُنْظَرُ: الجامع لأحكام الْقُرْآن ٢٩٤/٢٢، والتفسير الكبير ١٦٧/١١، وتفسير ابن كثير ٤٢٠/٨، والتحرير والتنوير ٣١١/٣٠ – ٣١٢، ومن هدى الْقُرْآن ٢٠٢/١٢.

١٩. التحرير والتنوير ٢٥٤/٢.

٢٠. مواهب الرَّحْمَنِ ٢١٠/١٣.

٢١. التَّحرير والتنوير ٦٠/٦، ويُنْظَرُ: تفسير المنار ٢٩٩/٧، ومواهب الرَّحْمَنِ ٢١٠/١٣.

٢٢. التحرير والتنوير ١٠٦/١٠، ويُنْظَرُ: تأويلات أهل السنة ٣٧٨/٥، وروح المعاني ٣٥٠/١٠ – ٣٥١، وفي ظلال الْقُرْآن ١٦٦٢/٣.

٢٣. يُنْظَرُ: تأويلات أهل السنة ٥٠/٥، والتبيان ٥٠٨/٤ – ٥٠٩، والتفسير الكبير ٣٧٧/٥.

٢٤. يُنْظَرُ: التفسير الكبير ٣٧٧/٥، وغرائب الْقُرْآن ٣٢٧/٣، والبحر المحيط ١٨٩/٥، والدر المصون ٤٧٦/٥، واللباب ٣٣٥/٩.

٢٥. يُنْظَرُ: إعراب الْقُرْآن ٣٥٧، وإملاء ما من به الرَّحْمَنِ ٢٨٦/١، واللباب ٣٣٥/٩.

٢٦. يُنْظَرُ: إملاء ما من به الرَّحْمَنِ ٢٨٦/١، والدر المصون ٤٧٦/٥، واللباب ٣٣٥/٩.

٢٧. يُنْظَرُ: التحرير والتنوير ٣٠٨/٨.

٢٨. يُنْظَرُ: فِي ظلال الْقُرْآن ١٣٧٧/٣.

٢٩. يُنْظَرُ: التفسير البلاغي للاستفهام فِي الْقُرْآن الكريم ٤١٦/١.

٣٠. يُنْظَرُ: التفسير البلاغي للاستفهام فِي الْقُرْآن الكريم ٣٣٤/٤.

٣١. التحرير والتنوير ٣٩٦/٢٩.

٣٢. يُنْظَرُ: الميزان ١٩/١٦٦ – ١٦٧.

• تحدث الباحث عن المبنى الاسمي بشيء موجز عاقداً مقارنة دلالية بينه وبين المبنى الفعلي فِي بحثــه الموســوم ((مادة (ع ل م» فِي الْقُرْآن الكريم». يُنْظَرُ: مجلة أبحاث ذي قار: ٩.

٣٣. يُنْظَرُ: أوضح المسالك ٢/٢٤٨، وشرح التصــريح على التوضيح ٢/١١، ومعاني الأبنية ٤٦.

٣٤. يُنْظَرُ: التحرير والتنوير ٢٠/١٢٤.

٣٥. مفردات ألفاظ الْقُرْآن ٨٤٤، وعمدة الحفاظ ٤/٢٩٥، وبصائر ذوي التمييز ٥/٣٣٩.

٣٦. الميزان ١٦/٩٤.

• فِي الآية مطالب عقدية كثيرة أعرضنا عنها خشية ان يخرج البحث عن مساره.

٣٧. الميزان ١٦/٦٢، ويُنْظَرُ: روح المعاني ٢٠/٢٢٥ – ٢٢٦، والأمثل ١٢/١٩٨، ومن هدي الْقُرْآن ٦/٣٦٣.

٣٨. التحرير والتنوير ٢٠/٨٤.

٣٩. يُنْظَرُ: الكشاف ٣/٢٥، والبحر المحيط ٧/٧١، واللباب ١٢/٣١٧، وكنــز الــدقائق ٧/٤٣٦، والبحــر المديــد ٤/١٠٢ – ١٠٣، وروح المعاني ١٤/٥٦٣ – ٥٦٧، وفي ظلال الْقُرْآن ٤/٢٢٣٦، والأساس فِي التفسير ١٢/٣١٧.

٤٠. يُنْظَرُ: التبيان ٦/٢٤٢، ومجمع البيان ٦/٣٠٣، ونظم الدرر ٤/٣٩٧، وتفسير أبي الســعود ٥/١٧٩ – ١٨٠، وروح البيان ٥/٢٠٨، وأضواء البيان ٢/٣١٤، والتفسير الكاشف ٥/٥٨، ومن هدى الْقُرْآن ٤/٤٥٠.

٤١. يُنْظَرُ: الكشاف ٣/٢٥، ومجمع البيان ٦/٣٠٣، والتفسير الكبير ٧/٣٥٨، والجامع لأحكــام الْقُــرْآن ١٣/١٠٧، والميزان ١٣/١٢٩.

٤٢. يُنْظَرُ: شرح الرضي على الكافية ٣/٤٢٧، وأوضح المسالك ٢/٢٥٩، وشرح المراح فِي التصــريف ١٢٩.

Summary

The researcher follows a material that has been destroyed in the Qur'anic use and the contextual production of it in terms of knowledge in guiding the profound meaning of the structure.

The research has been divided into two axes that occur in the first about the significance offered by the actual buildings while the second is allocated in terms of the nominal buildings. The most important outputs of the research are that the multiplicity of sources of depreciation reveals a doubt about the credibility. And not in proportion to the angels and some aspects of the composition, because the rank is missing to fill the high rank.